سورة الإنفطار
وهي مكية كلها بإجماعهم
بسم الله الرحمن الرحيم

{إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يٰأَيُّهَا ٱلإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ * كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ * كِرَاماً كَـٰتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَٱلأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ }
قوله تعالى: {إِذَا ٱلسَّمَاء ٱنفَطَرَتْ } انفطارها: انشقاقها. و {ٱنتَثَرَتْ } بمعنى تساقطت. و{فُجّرَتْ } بمعنى فتح بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا.
وقال الحسن: ذهب ماؤُها، و{بُعْثِرَتْ } بمعنى أثيرت قال ابن قتيبة قلبت فأخرج ما فيها. يقال بعثرت المتاع وبحثرته: إذا جعلت أسفله أعلاه.
قوله تعالى: {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ } هذا جواب الكلام. وقد شرحناه في قوله تعالى {يُنَبَّأُ ٱلإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ } [القيامة: 13].
قوله تعالى: {يٰأَيُّهَا ٱلإِنسَـٰنُ } فيه أربعة أقوال:
أحدها: أنه عني به أبو الأشدين، وكان كافرا، قاله ابن عباس، ومقاتل. وقد ذكرنا اسمه في [المدثر: 30].
والثاني: أنه الوليد بن المغيرة، قاله عطاء.
والثالث: أبي بن خلف، قاله عكرمة.
والرابع: أنه أشار الى كل كافر، ذكره الماوردي.
قوله تعالى: {مَا غَرَّكَ } قال الزجاج: أي: ما خدعك وسول لك حتى أضعت ما وجب عليك؟. وقال غيره: المعنى: ما الذي أمنك من عقابه وهو كريم متجاوز إذ لم يعاقبك عاجلا؟ وقيل للفضيل بن عياض: لو أقامك الله سبحانه يوم القيامة، وقال: ما غرك بربك الكريم، ماذا كنت تقول؟ قال: أقول غرني ستورك المرخاة. وقال يحيى بن معاذ: لو قال لي: ما غرك بي؟ قلت: برك سالفا وآنفا. قيل: لما ذكر الصفة التي هي الكرم هاهنا دون سائر صفاته، كان كأنه لقن عبده الجواب، ليقول غرني كرم الكريم.
قوله تعالى: { ٱلَّذِى خَلَقَكَ } ولم تك شيئا {فَسَوَّاكَ } إنسانا تسمع وتبصر فعدلك قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر «فَعَدَّلك» بالتشديد وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي «فَعَدَلك» بالتخفيف قال الفراء: من قرأ بالتخفيف، فوجهه ـ والله أعلم ـ فصورك إلى أي صورة شاء، إما حسن، وإما قبيح، وإما طويل، وإما قصير، وقيل: في صورة أب، في صورة عم، في صورة بعض القرابات تشبيها. ومن قرأ بالتشديد، فإنه أراد ـ والله أعلم ـجعلك معتدلا، معدل الخلقة، وقال غيره: عدل أعضاءك، فلم تفضل يد على يد، ولا رجل على رجل، وعدل بك أن يجعلك حيوانا بهيما.
قوله تعالى: {مَا يُجَـٰدِلُ * صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ } قال الزجاج: يجوز أن تكون «ما» زائدة ويجوز أن تكون بمعنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى: في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك، وفي معنى الآية أربعة أقوال:
أحدها: في أي صورة من صور القرابات ركبك، وهو معنى قول مجاهد.
والثاني: في أي صورة، من حسن، أو قبح، أو طول، أو قصر، أو ذكر، أو أنثى، وهو معنى قول الفراء.
والثالث: إن شاء أن يركبك في غير صورة الإنسان ركبك، قاله مقاتل. وقال عكرمة: إن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة خنزير.
والرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة والبله، وإن شاء في صورة كلب بالبخل، أو خنزير بالشره، ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: {بَلْ تُكَذّبُونَ بِٱلدّينِ } وقرأ أبو جعفر «بالياء» أي: بالجزاء والحساب، تزعمون أنه غير كائن. ثم أعلمهم أن أعمالهم محفوظة، فقال تعالى {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ } أي: من الملائكة يحفظون عليكم أعمالكم {كِراماً } على ربهم {كَـٰتِبِينَ } يكتبون أعمالكم {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } من خير وشر فيكتبونه عليكم.
قوله تعالى: {إِنَّ ٱلأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ } وذلك في الآخرة إذا دخلوا الجنة {وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ } وفيهم قولان:
أحدهما: أنهم المشركون.
والثاني: الظلمة. ونقل عن سليمان بن عبد الملك أنه قال لأبي حازم: يا ليت شعري ما لنا عند الله؟ فقال له: اعرض عملك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك عنده، فقال: وأين أجده؟ قال: عند قوله تعالى: {إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم} قال سليمان: فأين رحمة الله؟ قال: قريب من المحسنين.
قوله تعالى: {يَصْلَوْنَهَا } يعني: يدخلون الجحيم مقاسين حرها {يَوْمِ ٱلدّينِ } أي يوم الجزاء على الأعمال {وَمَا هُمَ عَنْهَا } أي: عن الجحيم {بِغَائِبِينَ } وهذا يدل على تخليد الكفار. وأجاز بعض العلماء أن تكون «عنها» كناية عن القيامة، فتكون فائدة الكلام تحقيق البعث. ويشتمل هذا على الأبرار والفجار. ثم عظم ذلك اليوم بقوله تعالى: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلدّينِ } ثم كرر ذلك تفخيما لشأنه، وكان ابن السائب يقول: الخطاب بهذا للإنسان الكافر، لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى: {يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ } قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، «يوم» بالرفع والباقون بالفتح. قال الزجاج: من رفع اليوم فعلى أنه صفة لقوله تعالى: «يوم الدين» ويجوز أن يكون رفعه بإضمار هو ونصبه على معنى: هذه الأشياء المذكورة تكون {يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً } قال المفسرون: ومعنى الآية أنه لا يملك الأمر أحد إلا الله، ولم يملك أحدا من الخلق شيئا كما ملكهم في الدنيا. وكان مقاتل يقول: لا تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة. والقول على الإطلاق أصح لأن مقاتلا فيما أحسب خاف نفي شفاعة المؤمنين. والشفاعة إنما تكون عن أمر الله وتمليكه.